# العجوز المتصابي

تمنيت أن أبلغ حقيقة ذلك العجوز الذي كان عمره ٨٣ عاماً حينما حاولت تصويره في هذه القصيدة... وكنت إذ ذاك في بدايةَ عهدي مع الشعر، وكان ذلك في صيف ١٩٥٩م.

أي معنى للعيش لولا الغرامُ؟! ... والغواني!! ووصلُها!! والمُدامُ!!

خلِق المرءُ كي يعيش سعيداً ... لا حلالٌ مقيِّدٌ، لا حرامُ

كلُّ ما لذّ للفتى فهو حِلٌّ ... ليس إلا من تركهِ الآلامُ

لذّةَ المرءِ يامساكين أولى ... أوَما المرء بعد لأيٍ حطامُ؟

فاغنمِ العمرَ... أسعدِ النفس إنا ... إن نكن غيرَ هكذا أصنامُ

هكذا المرء أن يكون طليقاً ... هكذا... هكذا تكون العظامُ

وإذا كان في الأنام حكيمٌ ... فلمثلي التشريعُ، والأحكامُ

❖❖❖

آهِ لو تعلمون من قالَ هذا؟! ... أيقول الأحكامَ إلا الهمامُ!!

أو عجوزٌ من حنكة الدهر أمسى ... رأيه الرأيَ ... أين منه الحسامُ!!

وكذا ذا الحكيم يا قوم شيخٌ ... عمره القرن... دونه أعوام

فهو شيخٌ... لكنه متصابٍ ... جُبلةٌ كلُّها جوىً، وهيامُ

تُحسِنُ النطقَ عن سجاياه نفسٌ ... ليس فيها إلا الخنى إلهامُ

وزيـــوتٌ تنســـابُ فـــوق جبـــينٍ ... غضنّتـــه مـــن كرُهـــا الأيـــامُ

(ملقـط الشـعر) في يديـه يُسـوّي ... حاجبيْـه... حتـى يكـون انسـجامُ

فضح الشيبُ صبغةَ الشَّعْرِ حتى ... لـــو تـــراه كأنـــه أقســـامُ

وجهـه أملـسٌ كوجـه الغوانـي ... ودهانـــاتُ وجهـــه أكـــوامُ

كلُّهـا تحكـي عـن عجـوز تصـابى ... همُّـــه الهـــمُّ... لـــذةٌ ومـــدامُ

يرصـدُ الـدربِ للمـلاحِ كجنـديٌ.. ... ففـي رصـدِهِ الخطـير اهتمـامُ

يـــزرع الـــدربَ أعينـــاً وانتباهـــاً ... مـــلءُ عينيـــه ثـــورةٌ وضـــرامُ

ليت شعري... ماذا يُرجّي، ويرجو!! ... ليـت شـعري أبعـدُ منـه غـرامُ!!

وهـــو جَـــدٌّ ولســـتُ فيـــه أغـــالي ... تمـــلأ الحـــي وُلْـــدُهُ الأيتـــامُ

ليـس يرضـى أفعالـه أبـداً والله.. ... ـــه صـــبٌّ مراهـــقٌ، أو غـــلامُ

وهـو كـالفيل جسـمُه ليـس بدعـاً ... إن تَخُـــرْ دون حملـــهِ الأقـــدامُ

(وإذا كـــانت النفـــوس كهـــذا ... عظمـت في انتفاخهـا الأجسـامُ)

إن يكـــن في البـــلاد أمثـــال هـــذا ... عـم فيهـا البلـى... وسـاد الظـلامُ

خلّصونـا بـالله مـن مثـل هـذا ... وانقـذوا الجيـل أيهـا الحكّـامُ

فهـــو للغـــير حجـــةٌ إن يضلـــوا ... وهـــو داءٌ بقـــاؤه إجـــرامُ

أنـا أخشـى إن كـان وصفـي دقيقـاً ... إن تجـــنَّ القـــراءُ يـــا (.....)

آب ١٩٥٩